تأسيس سامرا

— ٢ —

بقلم الكبتن كرسول
استاذ العمارة الاسلامية بجامعة فؤاد الاول
وترجمة السيد محمد رجب عضو بعثة الآثار الاسلامية ببرلين

الجوسق الخاقاني او قصر المعتصم

قام بكشف أطلال هذا القصر العظيم العالم الأثري فيولية Viollet سنة ١٩٠٧ غير أن اعماله لم تكن سوى تمهيد للاستكشافات العظيمة التي قامت بها البعثة الأثرية الألمانية فيما بعد باشراف العالمين الكبيرين زره Sarre وهرتسفلد Herzfeld . ومع مضي اكثر من عشرين عاماً على هذه الاعمال فإن البعثة لم تنشر سوى تقرير موجز عن نتائج استكشافاتها بقصر الجوسق الخاقاني

وقد تفضل الدكتور هرتسفلد رئيس هذه البعثة بأعارتي التخطيط العام الذي عملتهُ البعثة عن هذا القصر وقد استعنت به وبغيره من الرسوم والصور الشمسية التي تزخارف المنشورة بكتاب Wandschmuck في دراسة هذا القصر واني أرجو بعد هذه الدراسة واعتماداً على مشاهداتي الخاصة لباب العامة أحد ابواب هذا القصر منذ عامين أن اوفق في رسم صورة واضحة للقارىء عن هذا البناء الهائل . وإن كنت اعتقد أن نشر نتائج ابحاث هذه البعثة واعمالها باقلام اصحابها قد يكون اكثر فائدة وأعظم شأناً . وأنا لنرجو ألاَّ يطول انتظارنا نشر هذه الابحاث

يقول هرتسفلد في تقريره : « استمرت اعمال الكشف بهذا القصر سبعة أشهر كان يشتغل في اثنائها عدد يتفاوت بين ٢٥٠ و ٣٠٠ عامل يومياً واستخدمت سكة حديدية محلية خاصة لنقل الأتربة وتزيد مساحة القصر التي يطيف بها السور عن (١٧٥) هكتاراً تشغل منها التي تشرف على نهر دجلة بحمائلها وعمراتها وقاعاتها وحلماتها ٧١ هكتاراً

وبناء على ذلك فلو أريد استكشاف القصر جميعه وملحقاتهُ لاستغرق ذلك عشرين عاماً ، ومهما يكن من شيء فان كشف هذه الامكنة لم يكن امراً شاقاً كما يتبادر الى الذهن

لأول وهلة . لانه كان من الممكن تتبع التخطيط العام للقصر وترتيب قاعاته وحجراته المختلفة حتى بدون القيام باعمال الحفر . ولذلك فقد رؤي حصر هذه الاعمال في الاجزاء الرئيسية اي الواقعة على المحور الرئيسي للقصر

وقد كشف حوالي ١٤ الف متر مربع من الارض وأزيل ٣٢ الف متر مكعب من الردم منها ١١ الف متر مربع او ٢٨ الف متر مكعب من الردم من الحفائر التي اجريت في وسط القصر

وقد بدئت اعمال الحفر والتنقيب بعدة اختبارات وابحاث تمهيدية في المحور الرئيسي والمحور العرضي للرحبة الكبرى لتأخر وصول السكة الحديدية المحلية التي طلبت لاستخدامها في نقل الردم وبعد وصولها امتدت اعمال الحفر الى البناء الرئيسي نفسه

وكانت تفاصيل تخطيط هذا البناء تتضح لنا رويداً رويداً الا انها لم تعرف تماماً إلا حينما ظهر أتمام الحفر وكشف تخطيط القصر ورفع الاتربة ان هذه المجموعة الهائلة من المباني لم يكن لها سوى مدخل واحد في وسط جانبها الغربي ما زال بقاياه موجودة الى اليوم تعرف بباب العامة

وكان نهر دجلة يجري بجوار الجانبين الغربي والجنوبي الغربي للحديقة السفلى وكان الشارع الأعظم يمتد من الجنوب حتى ينتهي الى جدران القصر وهناك يتصل بشاطىء دجلة من جهة الجنوب مكوناً معهُ زاوية حادة حيث يقع باب النوَّالة وهناك طريق طوله ستمائة متر يخترق الحديقة حتى الحوض الاعظم وعرضه ١٢٧ متراً مربعاً حيث يبدأ سلم عرضه ٦٠ متراً وطولهُ مثل ذلك يرقى منه الى شرفة ارتفاعها ١٧ متراً امام باب العامة

﴿باب العامة﴾ يكاد يكون باب العامة افضل الاجزاء الباقية القائمة من هذا البناء الهائل الذي عدت عليهِ الايام وهو يتكون من واجهة ذات ثلاث قناطر ارتفاعها ١٢ متراً وتشرف على نهر دجلة ويقع خلفها ثلاث حجرات ذات سقوف نصف اسطوانية معقودة والحجرة الوسطى هي الايوان (أو الليوان) الكبير وعرضها ٧٫٨٦ متر وطولها ٥٠ ر ١٧ متر وارتفاعها ١٠ ر ١١ متر وهي مفتوحة بكامل عرضها ومطلة على نهر دجلة يحف بها كتفان من البناء عرض كل منهما ٥٨ ر ١ متر يحملان قنطرة الواجهة ذات العقد المدبب او هي شبيهة في بنائها بقناطر مسجد ابي دلف وباب بغداد من ابواب مدينة الرقة

خلف هذا الايوان الكبير باب سعتهُ ٤ أمتار وارتفاعهُ ١٠ ر ٧ متر تعلوه قنطرة مدببة شبيهة بقنطرة الواجهة الكبرى تعلوها نافذة ذات قنطرة مدببة أيضاً

والايوانان الجانبيان طولهما ١١ ر ٤ متر . والجزء الواقع خلف قنطرة الواجهة مغطى بسقف على شكل نصف قبة مرتكزة على اربعة صفف أو محاريب وبين كل صفين شباك مستطيل . وهذان الايوانان الجانبيان هما في الحقيقة بمنزلة مدخلين عظيمين لحجرتين خلفيتين

سقفاها معقودان نصف اسطوانيين وسعة كل منهما اربعة أمتار وبكل منها باب سعتهُ ٧٥ر١ متر وارتفاعهُ ٥٥ر٥ متر

ومع ان ارتفاع هذين الايوانين يقل بمقدار متر ونصف متر عن الايوان الاوسط الاَّ ان الفرتين الخلفيتين تكادان تفصلان الى ارتفاع هذا الايوان (٨٠ر١٠ متر الى ١٠ر١١ متر)

وهاتان الفرتان لا تتصلان بالايوان الكبير ولا بأي جزء آخر من أجزاء القصر مدخلهما من الواجهة فقط ولذلك يرى هرتسفلد انهما كانتا مخصصتين للحرس والاتباع أيام الحفلات والاستقبالات العامة والاجتماعات التي كانت تعقد في الايوان الكبير. وتبلغ ثخانة الجدران التي تحمل القبو الاوسط حوالي ٧٥ر١ متر. اما الجدران الخارجية للايوانين الجانبيين والجدار الخلفي فثخانتها ٣٠ر١ متر فقط. والى يسار الايوان الغربي حائط بها نافذتان احداهما طويلة ضيقة. وتعلوها اخرى أكثر منها عرضاً وكلاهما مستطيلة الشكل. وتدل ثقوب الحائط من الخلف على انهُ كان هناك طابقان بعضهما سقف من الخشب

وقد تهدمت الحافة الشرقية للواجهة ولم يبق منها الاَّ جزء صغير يكسو بعضه الجص وهذا الجزء المكسو لا يصل الى الارض مما يدل على انهُ كانت هنا نافذة أخرى مستطيلة ولكنها أقل طولاً من النافذة الكائنة بالطرف الآخر المقابل

ولا بد انهُ كان هناك طابق آخر ويستدل على ذلك من وجود جزء من حائط ارتفاعه خمسة امتار يرتفع عمودياً على الجانب الشمالي من الايوان الشمالي

﴿الزخارف﴾ تقتصر زخارف الواجهة على صفين غير عميقتين مدهونتي العقد كانتا تحفان بالمدخل الرئيسي. أما في الداخل فكان محلى بزخارف جصية شاهد بعضها العالم ڤيوليه Viollet في موضعها. كما عثر هو وهرتسفلد Herzfeld فيما بعد على البعض الآخر في الردم

وكان بطن عقد الايوان الكبير بالواجهة محلى بزخارف جصية مقسمة الى ثلاثة أقسام. أحدها أكثر عرضاً في الوسط تحصره خافتان أقل منهُ عرضاً سعة كل منهما ٣٢ر٥ سم وبها زخارف من أزواج من اغصان الكرم الصاعدة التي تكون صفاً مزدوجاً من الدوائر الصغيرة بكل منها ورقة من أوراق الكرم، تفصل كل ثنية من ثنياتها ثقوب تشبه العيون تحيط بها حزوز دائرية محفورة متحدة المركز يتميز بها الطراز المعروف بطراز سامرا الثالث. والجزء الأوسط سعته ٩٥سم وكان محلى بزخارف مكونة من وردات ذات ثمانية جوانب بين كل منها والتي تليها عقدة وفي كل ثنية من ثنياتها ورقة كرم طويلة الساق. ولا يمكننا مع الاسف ان نعرف الآن كيف كانت مراكز هذه الوردات والسطوح التي تفصلها بعضها عن بعض محلاة لان الاجزاء التي عثر عليها ليست كافية لايضاح ذلك

أما داخل الايوان الكبير فنجد في قمة الحائط مما يلي عقد القبو مباشرة عصابة من الزخارف البارزة الجميلة مكونة من حليتين متعاقبتين احداهما صغيرة والاخرى كبيرة تشبه احداهما زهرة اللوتس ذات الثلاثة الاوراق . والورقتان الخارجيتان تكوّنان حلزونين . أما الورقة الوسطى فرفيعة وتصل حافتها العليا الى الطرف العلوي للعصابة وهي تشبه في مجموعها زهرة الزنبق . أما الثانية فتشبه الاولى ولكنها اقل منها حجماً وليس بها الزخارف الحلزونية التي بالاولى . ويرى هرتسفلد ان هذه العصابة تشبه تمام الشبه عصابة اخرى من الزخارف الجصية بكنيسة (بازيليكا) القديس سرجيوس بالرصافة

ويقول هرتسفلد Herzfeld : والجزء الاوسط من الباب الكبير هو المدخل الرئيسي للقصر وتقع خلفه ست قاعات يرجح أنها كانت قاعات انتظار وكان كبار الضيوف والزوار ذوو المكانة يدخلون من الرواق الشمالي (أي الفتحة الشمالية) للباب الكبير ثم يمرون في ممشى طويل الى هذه القاعات أما الجزء الخاص بالحريم بالقصر فيدخل اليه من الفتحة الجنوبية للباب الكبير التي تصل به رواقان طويلان

وتكوّن هذه الممشى والقاعات والاروقة ما يسمى بالمدخل أو باب القصر يتلو ذلك رحبة مربعة بها ناعورة يحيط بها من كل جانب ثلاث حجرات يجلس فيها الزوار وفقاً لمقاماتهم ودرجاتهم والى الشمال نجد حجرات الخليفة وهي تقع حول ثلاث رحبات ويقع الحريم في الجنوب وقد اضيف اليه بناء آخر كثير الحجرات . ويطل الحمام الكبير على الرحبة مباشرة واذا سار الانسان قدماً فانه يمر في قاعة امامية الى رحبة مضلعة جدرانها الشمالية والجنوبية خالية من الزخرفة . اما في الشرق فترى واجهة قاعة العرش بأبوابها الثلاثة وتوصل الدهاليز والممرات السفلية — ويوجد منها كثير بالقصر — بين حجرات الخليفة وقسم الحريم

﴿ قاعة العرش ﴾ تكوّن قاعة العرش من قاعة وسطى مربعة يحيط بها اربع قاعات على شكل حرف T وقد وجد بهذه القاعة طرازان من الزخارف الزخامية شبيهان بالطراز السابق الاشارة اليه ويرجح انها كانت مغطاة بقبة . وقد كانت أمثال هذه القاعات على شكل حرف T من الخصائص المميزة لقاعات الاستقبال في جميع المنازل الخاصة . ولكنها تختلف عن جميع الامثلة المعروفة في ان الاجزاء التي تكون الصليب قد بنيت على مثال البازيليكا ذات الثلاثة الاروقة ولكنها هنا مكورة اربع مرات في الحجرات الاربع المكونة لاضلاع الصليب . والسبب في ذلك هو الحاجة الى ضوء كافٍ لاضاءة القاعات جميعها والقاعة الوسطى ايضاً

وقد وجد هرتسفلد قطعاً من الزخارف الجصية في هذه الحجرات وحاول ان يجمعها وان يكوّن منها اشكالاً او موضوعات زخرفية تامة باعادتها الى حالتها الاولى من التركيب والتكوين

وقد عثر بقاعة العرش هذه على خشب خشبي لاحد الابواب يشبه شبهاً تاماً بعض الاعتاب الخشبية بأبواب مسجد ابن طولون بالقاهرة . وتوجد بين اذرع الصليب قاعات صغرى محلاة بوزرات من الواح ومربعات الرخام ، وكذلك مسجد صغير لصلاة الخليفة ذو محراب جميل

﴿ الحريم ﴾ اذا رسمنا محوراً من الشمال الى الجنوب مارًّا بمركز القاعة الوسطى وقاطعاً القاعتين الشمالية والجنوبية التين على شكل حرف T فانهُ يقسم هذه الكتلة من البناء الى قسمين متماثلين تقريباً . وقد كشف منهُ القسم الجنوبي فقط وهو يشمل الحريم

وتقع امام القاعة الجنوبية ذات الشكل حرف T قاعة كبيرة العرض تمتد على طول رحبة الحريم . وفي الجانبين الغربي والشرقي لرحبة الحريم تقع حجرات كثيرة أعيد بناؤها عدة مرات معدة للحياة المنزلية داخل القصر ومجهزة بالمياه الجارية التي تأتي اليها في مواسير كبيرة من الرصاص أو من الخزف المطلي بمادة زجاجية أو من الفخار العادي . كما ان بها حجرات للاستحمام والغسيل والمراحيض . وتقع في مواجهة قاعة العرش في الجانب الجنوبي للرحبة حجرة مربعة تمتد على طول الرحبة وهناك رواق مربع طول ضلعه ٢١ متر يطيف بحجرة مربعة ذات اربعة ابواب واسعة وبها حوض تحف به اعمدة الرخام في اركانه الاربعة

وقد كانت هذه الحجرة محلاة برسوم وصور آدمية واذا رسمنا محوراً يقطعها من الشرق الى الغرب فاننا نجد الى غربها قاعة على شكل البازيليكا ذات ثلاثة اروقة في كل رواق منها اربعة اعمدة من الرخام . وتقع امام القاعة الشرقية ، ذات الشكل حرف T من المجموعة المسماة بقاعة العرش قاعة كبيرة اخرى عرضها ٣٨ متراً وطولها ٤٠ ر ١٠ امتار بها خمسة ابواب تطل على رحبة كبيرة مكشوفة طولها ٣٥٠ متراً وعرضها ١٨٠ متراً تقسمها قناة الى قسمين احدهما الغربي وهو مرصوف ومحل بنافورتين والشرقي وهو غير مرصوف وبه بعض قنوات ومجاري مياه صغيرة

﴿ السرداب الصغير ﴾ واذا سار الانسان من هذه الرحبة الكبيرة الى الشرق فانه يصل الى سرداب صغير يقع على المحور الرئيسي للقصر . ومدخله عبارة عن حجرة مربعة قد نقش على جدرانها طراز من الزخارف الجصية الملونة قوامها قافلة من الجمال ذات السنامين ويقع سلم مدخل السرداب في الجانب الغربي من البناء العلوي والسرداب نفسه عبارة عن قبوة منقورة في الصخر كل ضلع من اضلاعها ٢١ متراً وعمقها ٨ أمتار وفي كل جدار من جدرها ثلاث مغارات تفصلها بعض مماشٍ أو اروقة وكانت في ارضيتها فسقية أو حوض للماء . وكان يحيط بالسرداب صفوف متوازية من الغرف يظن انها كانت اسطبلات

﴿ ملعب الصوالجة ﴾ وفي وسط الرحبة الشرقية بناء يشرف على ملعب كبير يسور طوله ٥٣٠ متراً وعرضه ٦٥ متراً وهو لا يقع على استقامة محور القصر بل ينحرف عنهُ قليلا باتجاه

بسيط . ويرجح ان هذا كان ملعب الصوالجة وكانت الاسطبلات معدة لخيل اللعب . وكان النظارة يشرفون على اللعب من هذا البناء . والى هنا تصل الى الطرف الشرقي للقصر ويتلوه سور حديقة الحيوان او الحير . وتقع في مواجهة البناء الذي يشرف منهُ النظارة على اللعب على امتداد المحور الرئيسي للقصر سفيفة عظيمة مرتفعة تشرف على ملعب الصوالجة وحلبة السباق في حديقة الحيوان او الحير التي تمتد الى أكثر من خمسة كيلو مترات

ويبلغ طول محور القصر الممتد من نهر دجلة مخترقاً السلم الكبير وباب العامة وقاعة العرش والرحبة الكبرى والسرداب الصغير الى حديقة الحير وشقيقتها رحبة السباق ١٤٠٠ متر

﴿ السرداب الكبير ﴾ ويقع في الركن الشمالي الشرقي للقصر بناء مربع طول ضلعه ١٨٠ متراً يرتكز جانبه الجنوبي على الجدار الشمالي للرحبة الكبرى وبه كهف عميق مربع طول ضلعه ٨٠ متراً منقور في الصخر تمتد على محاوره أذرع على شكل صليب يبلغ طولها ١١٥ متراً وفي أرض هذا الكهف فجوة ثانية مستديرة قطرها ٧٠ متراً . ومن المرجح ان هذه الفجوة كانت قمقية او حوضاً . إذ أنها تتصل بقناة سفلية وفي الجزء العلوي توجد حجرات كثيرة صغيرة على غير نظام حول الجانب الداخلي للجدران وبعضها مسقف بأقبية متقاطعة وقد كشف بهذه الحجرات بعض الخازن وعثر بها على بعض قطع من الخزف الصيني وألواح ومربعات القيشاني الموهة بالبريق المعدني ذي اللون الذهبي . ونجد الى الشرق مجموعات متنوعة من المباني على امتداد الحائط الشمالي والوسطى منها أكثر ارتفاعاً من بقيتها

﴿ الزخارف ﴾ وقد كانت عظمة زخارف هذا القصر مما يلتئم ويتناسب مع أبهته وفخامته مما لم يعثر على مثيله للآن . فقد كانت وزرات الجدران محلاة بزخارف جصية بعضها من عصر المعتصم نفسه مؤسس سامرا وباني القصر . وبعضها جدد بعد المتوكل مباشرة وبعضها من الايام الاخيرة لسامرا وقد أمكن ان نلم بكثير من المعلومات التي كانت تنقصنا في دراسة زخارف المنازل الخاصة التي كشفت في سامرا بالاستعانة بهذه الزخارف . حتى اصبح في استطاعتنا الآن ان نلحظ بوضوح التقدم المطرد في تطور طراز سامرا مدى خمسين عاماً . وان نميز الفروق بين كل من الطرز الثلاثة التي تبين أنها تختلف بعضها عن بعض اختلافاً أساسيًّا مما لم يفطن اليه كثيراً عقب بدء الكشف الاولى . ففي حجرات العرش استبدلت الوزرات الجصية بوزرات مشابهة من الرخام المنقوش وفي الحجرات الواقعة بين اذرع الصليب نجد الوزرات مغطاة بكسوة من الواح ومربعات الرخام كما ان الاجزاء العلوية من جدران قسم الحريم كانت محلاة بزخارف آدمية ملونة كشف الكثير من بقاياها كما كشف في بعض الحجرات عن زخارف من الزجاج والفسيفساء لا نظير لها في أي مكان آخر . وجميع القطع الخشبية من ابواب وكتل وسقوف مصنوعة

من خشب الساج المنقوش الملون او المذهب وقد زادته مسامير البرنز المذهبة رونقاً وبهاء

وقد عثر على قليل من القطع الأثرية في كتلة البناء المكونة للمدخل بقاعاته وممراته وكذلك بقاعة العرش . وذلك امر طبيعي وكان اكثر ما عثر عليه بقسم الحريم وحجرات الحياة المنزلية الداخلية والى جانب القطع الكثيرة المعمارية والفخارية والرخامية فقد عثر على الكثير من الاواني الفخارية المغلقة الطويلة الاسطوانية الشكل . وقد كسيت بطبقة من الجص ونقش على احد جانبيها صور لرجال او سيدات في ملابس مختلفة وكل صورة منها داخل أطار خاص ويرجح انها كانت صور لرجال ونساء حقيقيين لا خياليين اضف الى ذلك رسوم وصور آدمية او زخرفية على قطع من الفخار او القاشاني او الرخام ورؤس حيوانية من الرخام وألواح من الزجاج الكثير الالوان . وقطع من الاثاث المنزلي وغير ذلك من القطع المطعمة بالابنوس والعاج الخ.

كما عثر على بعض الكتابات التاريخية على كتل خشبية وعلى كثير من توقيعات الصناع من الروم والسريان والعرب بخطوطهم ولغاتهم المختلفة على الرخام والخشب والصور والفخار . وعلى قطعة من القماش بها طراز الخليفة المعتضد وأجزاء من خطابات مسطورة على ورق وبعض اوراق البردي الرسمية وغير ذلك

﴿ الخزانة او بيت المال ﴾ يقع الى شمال السرداب الكبير مساحة كبيرة مستطيلة يطيف بها صفوف كثيرة من الجدران القوية التي جلبت مادة بنائها في عصور موغلة في القدم . ويستنتج من مجرى الحوادث التي حدثت بالقصر ان بيت المال كان موضعه في هذا المكان من القصر . والركن الشمالي الشرقي ليس واضح المعالم وقد كانت تمتد منه الى عدة كيلو مترات مجموعات من المنشئات المتصلة بحديقة الحيوان او الحير والمتصلة بالقصر . ويمتد الجزء الجنوبي على غير نظام اذ تخترقه ثلاث اودية عميقة وهناك صنف طويل من الرحبات والحجر الصغيرة على الجانبين يظن انها كانت بمثابة مخازن ، ويستنتج من وصف الثورات التي حدثت بالقصر ان دار الصناعة كانت بهذا الجزء ايضاً وقد امكن معرفة مقر صاحب دار الصناعة . والى الشرق نجد رحبات مفردة وابنية لا يعلم الغرض منها وبينها بناء قائم على أعلى نقطة منها يرجح انه كان مسجداً

﴿ الكتان ﴾ في الركن الشمالي الغربي من المساحة التي وصفناها تقع الكتان ويرجح انها كانت كتان الحيالة. اما كتان المشاة فتفصلها عنها قطعة من الارض خالية من البناء وكان بهذه الكتان ٦٠٠ غرفة ينزل بها ٣٠٠٠ من الجنود . وكان بالرحبة الكبرى ثلاثة مساجد لم تكن محاريبها على سمت القبلة تماماً . وتشرف هذه الكتان على الحديقة وشاطىء دجلة لانها على مرتفع من الارض كما انها تقع الى جانب الشارع الاعظم الذي كان يصلها بالقصر وقد كان الطريق الوحيد الذي كان يصل جنوب المدينة بشمالها

الاقواس المعمارية

الواجهة ذات الثلاث القناطر

كانت القصور الشرقية القديمة كقصر خرسابد (القرن السابع قبل الميلاد) تحتوي على قاعات طويلة مسقوفة بعقود نصف اسطوانية وبها ابواب جانبية

أما القصور التي بنيت في عهود تالية كقصور الساسانيين مثلاً (٢٢٨ — ٦٢٨ م) كقصر طيشفون وفيروز اباد وسروستان وقصر شيرين فكانت بعض قاعاتها تغطيها قباب ايضاً

وقد كانت الاقية النصف الاسطوانية كثيرة الشيوع اذ ان القبو الأوسط الكبير منها كان يمكن ان ترتكز عليه اقية أخرى اقل منهُ ارتفاعاً واتساعاً من الجانبين. وهذه الاقية اما أن تكون متصلة به على زاوية قائمة او موازية لهُ. وقصرا طيشفون وفيروز اباد من الطراز الأول والقاعات الجانبية ابوابها معقودة وفتحات ابوابها ليست بالواجهة بل في جوانب الايوان الكبير

ويرى هرتسفلد ان الواجهة ذات الثلاث القناطر مستمدة على الارجح من اقواس القصر الرومانية ومن البوابات ذات القناطر الثلاث للشوارع ذات الاعمدة التي كانت قد انتشرت في جميع الشرق الادنى في ذلك الوقت. وكانت ملائمة غاية الملاءمة لتخطيط القصر الفارسي والعراقي لأنها كانت منافذ عظيمة معقودة تصل الواجهة بالحجرتين الصغيرتين الجانبيتين وكان ذلك تجديداً في هندسة القصور المذكورة. ولذلك كان القبوان الجانبيان موازيين دائماً لقبو الايوان الاوسط. ويشاهد ذلك في قصر الحضر (القرن ١ — ٣ ق. م) حيث تظهر هذه الظاهرة لأول مرة. ولكننا نجدها ثانية بعد ثلاثة قرون في قصر سروستان وفي النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي في قصر الاخيضر. وهي الظاهرة السائدة في قصر الخليفة بسامرا

ويقول اليعقوبي :—

« وولى الخلافة هارون الواثق بن المعتصم فبنى الواثق القصر المعروف بالهاروني على دجلة وجعل فيه مجالس في دكة شرقية ودكة غربية وانتقل اليه وزادت الاقطاعات وقرّب ورفع وباعد ديار قوم على الخط الأعلى الابعد فاقطع وصيفاً دار [illegible] التي بالطبيرة وانتقل وصيف عن داره القديمة [illegible] وبنى بها [illegible] أصحابه ورجاله حوله وزاد في الاسواق وعظمت الدرب في ردهة السفن من بغداد وواسط والبصرة والموصل، وجدد الناس البناء واحكموه واتقنوه لما علموا أنها قد صارت مدينة عامرة وكانوا قبل ذلك يسمونها العسكر

ثم توفي الواثق في سنة اثنتين وثلاثين ومائتين (٢٣٢هـ—٨٤٧م). وولى جعفر المتوكل بن المعتصم فنزل الهاروني وآثره على جميع قصور المعتصم. وأنزل ابنه محمداً المنتصر قصر المعتصم المعروف بالجوسق وأنزل ابنه ابراهيم المؤيد بالطبيرة وأنزل ابنه المعتز خلف الطبيرة مشرقاً بموضع

يقال لهُ بلكوار . (فاسد) البناء من بلكوار الى آخر الموضع المعروف بالدور مقدار اربعة فراسخ وزاد في شوارع الخير الشارع الجديد وبنى المسجد الجامع في اول الخير في موضع واسع خارج المنازل لا يتصل بهِ شيء من القطائع والاسواق . وأتقنهُ ووسعه وأحكم بناءه وجعل فيهِ فوارة ماء لا ينقطع ماؤها وجعل الطرق اليه من ثلاثة صفوف واسعة عظيمة من الشارع الذي يأخذ من وادي ابراهيم بن رياح في كل صف حوانيت فيها اصناف التجارات والصناعات والباعات عرض كل صف مائة ذراع بالذراع السوداء لئلاَّ يضيق عليهِ الدخول الى المسجد اذا حضر المسجد في الجمع في جيوشه وجموعه وبخيله ورجله . ومن كل صف الى الصف الذي يليه دروب . وسلك فيها قطائع جماعة من عامة الناس . فاتسعت على الناس المنازل والدور واتسع اهل الاسواق والمهن والصناعات في تلك الحوانيت والاسواق في صفوف المسجد الجامع . وأقطع نجاح بن سلمة الكاتب في آخر الصفوف مما يلي قبلة المسجد وأقطع أحمد بن اسرائيل الكاتب أيضاً بالقرب من ذلك واقطع محمد بن موسى المنجم واخوته وجماعة من الكتاب والقواد والهاشميين وغيرهم

وعزم المتوكل أن يبني مدينة ينتقل اليها وتنسب اليه ويكون له بها الذكر فأمر محمد بن موسى المنجم ومن يحضر بابه من المهندسين ان يختاروا موضعاً فوقع اختيارهم على موضع يقال له الماجوزة وقيل له أن المعتصم قد كان عزم على ان يبني ها هنا مدينة ويحفر نهراً قد كان في الدهر القديم . فاعتزم على ذلك وابتدأ النظر فيهِ في سنة خمس واربعين ومائتين (٢٤٥ هـ) وتوجه في حفر ذلك النهر ليكون وسط المدينة فقدر النفقة على النهر الف الف وخمسمائة الف دينار فطاب نفساً بذلك ورضي بهِ وابتدأ الحفر وأنفقت الاموال الجليلة على ذلك النهر واختط موضع قصوره ومنازله وأقطع ولاة عهوده وسائر أولاده وقواده وكتابه وجنده والناس كافة ومد الشارع الأعظم من دار الشماس التي بالكرخ وهي التي صارت للفتح بن خاقان مقدار ثلاثة فراسخ الى قصوره وجعل دون قصوره ثلاثة ابواب عظام جليلة يدخل منها الفارس برمحه وأقطع الناس يمنة الشارع الاعظم ويسرته وجعل عرض الشارع الاعظم مائتي ذراع وقدر أن يحفر في جنبي الشارع نهران يجري فيهما الماء من النهر الكبير الذي يحفره وبنيت القصور وشيدت الدور وارتفع البناء وكان يدور بنفسه فمن رآه قد جدَّ في البناء اجازه واعطاه فجد الناس وسمى المتوكل هذه المدينة الجعفرية واتصل البناء من الجعفرية الى الموضع المعروف بالدور ثم بالكرخ وصار من رأى مادًّا الى الموضع الذي كان ينزله ابنهُ ابو عبد الله المعتز ليس بين شيء من ذلك فضاء ولا موضع لا عمارة فيه فكان مقدار ذلك سبعة فراسخ . وارتفع البنيان في مقدار سنة وجعلت الاسواق في موضع معتزل وجعل في كل مربعة وناحية سوقاً

وبنى المسجد الجامع وانتقل المتوكل الى قصور هذه المدينة أول يوم من المحرم سنة سبع وأربعين ومائتين (٢٤٧هـ) فلما جلس أجاز الناس بالجوائز السنية ووصلهم وأعطى جميع القواد والكتاب ومن تولى عملاً من الاعمال وتكامل له السرور وقال الآن علمت أني ملك اذ بنيت لنفسي مدينة سكنتها . ونقلت الدواوين : ديوان الخراج ، وديوان الضياع ، وديوان الزمام ، وديوان الجند والشاكرية وديوان الموالي والغلمان وديوان البريد وجميع الدواوين الا أن النهر لم يتم أمره ولم يجر الماء فيه الا جري ضعيف لم يكن له اتصال ولا استقامة على انهُ قد انفق عليه شيئاً بألف الف دينار ولكن كان حفره صعباً جداً انما كانوا يحفرون (حصا) وانهاراً . لا تعمل فيها المعاول . وأقام المتوكل نازلاً في قصوره بالجعفرية تسعة اشهر وثلاثة أيام وقتل ثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين في قصره الجعفري أعظم القصور

وولي محمد المنتصر ابن المتوكل فانتقل الى سرٍّ من رأى وأمر الناس جميعاً بالانتقال عن الماحوزة وان يهدموا المنازل ويحملوا النقض الى سرٍّ من رأى فانتقل الناس وحملوا نقض المنازل الى سرٍّ من رأى وخربت قصور الجعفري ومنازله ومساكنه وأسواقه في أسرع مدة وصار الموضع موحشاً لا انيس به ولا ساكن فيه والديار بلاقع كأنها لم تعمر ولم تسكن . ومات المنتصر بسرٍّ من رأى في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين ٢٤٨ هـ . وولي المستعين احمد ابن محمد بن المعتصم فأقام بسرٍّ من رأى سنتين وثمانية اشهر حتى اضطربت اموره فانحدر الى بغداد في المحرم سنة احدى وخمسين ومائتين (٢٥١هـ) فأقام بها يحارب اصحاب المعتز سنة كاملة والمعتز بسرٍّ من رأى معه الاتراك وسائر الموالي ثم خلع المستعين وولي المعتز فأقام بها حتى قتل ثلاث سنين وسبعة اشهر بعد خلع المستعين وبويع محمد المهتدي بن الواثق في رجب سنة خمس وخمسين ومائتين (٢٥٥هـ) فأقام حولاً كاملاً بمنزل الجوسق حتى قتل رحمهُ الله وولي احمد المعتمد بن المتوكل فأقام بسرٍّ من رأى في الجوسق وقصور الخلافة ثم انتقل الى الجانب الشرقي بسرٍّ من رأى فبنى قصراً موصوفاً بالحسن سماه المعشوق فنزله فأقام به حتى اضطربت الامور فانتقل الى بغداد ثم الى المدائن . و ... »

ويقول اليعقوبي ايضاً « وسرٌّ من رأى منذ بنيت وسكنت الى الوقت الذي كتبنا فيه كتابنا هذا (كتاب البلدان) خمس وخمسون سنة ملك بها ثمانية خلفاء مات وقتل فيها خمسة . المعتصم ، والواثق ، والمنتصر ، والمعتز ، والمهتدي ، وقتل في حربها وفيها هو متصل بها وقريب منها اثنان المتوكل ، والمستعين ، واسمها في الكتب المتقدمة زوراء بني العباس ويصدق ذلك أن قبل مساجدها كلها مروية فيها زوراء ليس فيها قبلة مستوية . الا انها لم تخرب ولم يذهب اسمها وقد ذكرنا بغداد وسرٌّ من رأى وبدأنا بهما لانهما مدينتا الملك والخلافة » اهـ

[يتبع]